السيدة «ش» وعقارب الغربة

قراءة في المجموعة القصصية للقاص المصري محمد غنيم

في عالم السرد تنفتح أمام السارد آفاق المخيال في الحوادث اليومية التي يسجلها القاص الحاذق في ذهنه ثم يسترجعها في لحظة التدوين، وتتوقف حنكة القاص في المزج بين الحدث القصصي كواقع ملموس وبين ما يضفي عليه من مخياله من تطريزات يؤطر من خلالها ذلك الحدث بحيث يتمكن من المتلقي في متابعة التسلسل الحدثي حتى نهايته .

والحقيقة أن محمد غنيم في مجموعته القصصية السيدة «ش» والمطبوعة في دار النخبة لسنة 2018 كان ذكيا في التعامل مع الأحداث والشخوص فضلا عن أنه لاحق الزمن من خلال تعويمه تارة وتثبيته تارة آخري وكأنه يريد لقصصه عمرا يتناسب مع الزمن القادم .

ومن القصص التي استهدف فيها قضية هجرة الشاب من بلاده طلبا للقمة العيش في بلدان العالم المختلفة كانت ضربا سياسيا وحجة على السلطات العربية الحاكمة وقدرتها في توظيف الاقتصاد لخدمة الإنسان والقصور الكبير الذي يؤكده الواقع على والضياع الذي يعانيه العربي عموما بسبب سوء إدارة المال والإمكانات البشرية في آن واحد

الأمر الذي يدفع إلى التفكير في الهجرة التي تعتبر الكنز الذي يبحث عنه خارج حدود الوطن .

تشير قصة «**كواليس الكوابيس** «ص19 – 26 **الى المعانات التي يستشعرها من جرب الغربة وابتعد عن ملاعب الصبا والطفولة والأتراب من أجل الحصول على المال الذي ربما سيحقق له نوعا من الاستقرار ويشعره بالأمن الاقتصادي في بلده، وقسوة الغربة تبدأ من مستهل القصة حيث يقول: «في بناية عروس دمشق، حيث أسكن تراودني رائحة الغربة، المنبعثة من أرجاء المكان ...» ص19.**

البناية التي يتحدث عنها ذلك المكان الموحش الذي يشعره بالحنين لسكنه ووطنه وأصدقائه وكل شيء يربطه بما نشأ عليه، ومهما كان البديل فلا يحل محل الوطن لو كان من ذهب فعبق الطفولة والصبا في المكان الذي اعتاده وتلك سجية العربي وسمته في علاقته بالمكان، ورائحة الغربة التي أشار إليها بالتأكيد هي ما انبعث في ذهنه من عطر المكان الذي فارقه دون أن يصرح بذلك تخلصا من المباشرة وهو من الأساليب اللغوية الجميلة التي يعمل القاص على استعارة المعنى ليمنح فكرته زخما جماليا.

ثم تتوالى الأحداث ليعرج لنا على صديقه الذي وصفه «احمد سامح الذي يقف بجسده السمين المحمول على ساقين متلاصقين ...»

ص19، وكأن القاص يريد الخروج من رتابة الحدث ومأساوية الشعور ليدخلنا في عالم زميله «احمد سامح» صاحب السمات البسيطة وفي بعض الأحيان الساذجة والمعبرة عن طيبته وبدائية تفكيره ونزوعه نحو الطعام دون الأخذ بنظر الاعتبار نوع وشكل الطعام كما أشار لذلك بعدم معرفة ما بداخل «السندويجة بالضبط «

وثمة اشارة ذكية وهو يتحدث عن صاحبه السمين وسبب مجيئه إلى الإمارات ذلك البلد الذي تحول الى مشغل دائم في عمق الصحراء واستقطب الايدي العاملة والكفاءات المهنية من كل أصقاع الأرض إذ يقول:» **من أجل العمل كي يؤسس شقة ويتزوج من أسماء مختار التي هي بمثابة مسيرته النسائية الفاشلة**» ص21. وهو بهذه الإشارة يؤكد على أن الغربة والسفر وترك الوطن من الأمور التي يكره الإنسان عليها أما عجزه التام في تحقيق أدنى أهدافه كإنسان وهذه مأساة الإنسان العربي في مختلف الدول العربية التي لم تفكر بتنمية اقتصادياتها لضمان سعادة الأجيال وأن الهجرة لبلدان عربية ثرية لم تكن مطلقا هي الحل لان مفاهيم العمل في هذه البلدان تتصرف مع العربي تحت عنوان «أجير» عليه أن يبيع جهوده العضلية والفكرية بالثمن الذي يفرضه رب العمل وليس كما يستحق العامل وتلك طامة أخرى أشار إليها القاص بترميز أحيانا وبكشف واضح في أحيان أخرى.

وتنتهي الأحداث في هذه القصة حاجة المغترب الطبيعية للجنس وخصوصا العربي الذي يشكل الجنس لديه هماً كبيرا .

وقد تضمنت هذه القصة ابعادا سياسية واجتماعية واقتصادية ونفسية، واشج من خلالها القاص بين مسحة الأسى التي يشعر بها المغترب عن بلاده وبين الفكاهة المشحونة بالالم .

وننتقل الى قصة آخري تدور أحداثها في بلد لا عربي ولا أوربي إنها في روسيا محط أنظار العرب في الكثير من الجوانب السياسية والاقتصادية وفي حقوق الإنسان ومبدأ الأجر على قدر العمل ويسرد لنا القاص معاناته وخوفه من امتطاء صهوة الطائرة وانه لأول مرة يسافر على متن طائرة لا يعرف شيئا عن مخاطر السفر بهذه الواسطة .

الوجهة هي ترميم «الكرملن» البناية الأولى في روسيا بل وربما في العالم أيضا، لكن الجديد في الأمر أنه يتعرف من خلال العمل في هذا المكان على فتاة روسية من أصل عربي ويكاد أن يعشقها إلا أن عنصر المفاجأة والإدهاش في نهاية الحدث تكتشف انه «مصري «فتنفر تماما ووتبتعد بسبب أن أمها تعرضت للاغتصاب من رجل «مصري»

وبلا تكلف في تأويل الحدث القصصي يطلعنا القاص على أن الظروف القاسية التي تدفع بالشباب إلى الهجرة لبلدان العالم تحمل بين طياتها مخاطر كبيرة وقد تسيء لسمعة ومكانة البلد ذاته من خلال

حاجة المغترب لأشياء كثيرة منها الجنس التي قد تدفعه لارتكاب جريمة الاغتصاب .

وفي القصة كذلك رؤى وأفكار مرمزة في مقدمتها الحفاظ على خبرات الشباب وعدم الدفع بهم إلى الهجرة القسرية نتيجة ضيق سبل العيش وتزايد أعداد المحرومين .

تشكل المجموعة القصصية لمحمد غنيم التي تضمنت «30» عنوان قصصي تراوحت بين القصة القصيرة والقصيرة جدا.

تضمنت العديد من الموضوعات الاجتماعية المستلهمة من الواقع والناطقة بلسان حال الناس في معظم الأحيان وحتى الذاتي منها هو عبارة عن تجربة تنسحب على العموم ولا تقتصر على القاص .

وهذا الاستعراض اليسير في هذه المجموعة لا ادعي اني سبرت أغوارها واستكنهت مضامينها وهي لا تعدو أن تمثل إشارة لمنتج عربي واعد.

وإن كانت السيدة «ش «باكورة أعمال القاص محمد غنيم فغنها تبشر بقاص حاذق ويمتلك مخزونا لفظيا ومعجما يؤهله لاحتلال أماكن متقدمة في ميدان القص العربي.